

أضواء البيان

@ 37 @ في آيات كثيرة كقوله : { وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ

يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا
الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ } ونحوها من الآيات ، وبين نصحه لهم في آيات كثيرة كقوله :
{ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ
نُوحٍ أَوْ قَوْمِ هُودٍ أَوْ قَوْمِ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَّطُوفٌ مِّنكُمْ بِبِعِيدٍ }
، وقوله تعالى : { فَكَيْفَ عَاسَىٰ عِلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ } أنكر نبي ﷺ شعيب عليه
وعلى نبينا الصلاة والسلام الأسى أي الحزن على الكفار إذا أهلكهم ﷻ بعد إبلاغهم ، وإقامة
الحجة عليهم مع تماديهم في الكفر والطغيان لجاجاً وعناداً ، وإنكاره لذلك يدل على أنه
لا ينبغي ، وقد صرح تعالى بذلك فنهى نبينا صلى ﷺ عليه وسلم عنه في قوله : {

وَلَا يَزِيدَنَّهُ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا
وَكَفْرًا فَلَا تَأْسَ عِلَىٰ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } ومعنى لا تأس : لا تحزن ، وقوله
: { وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ } . ! 77 ! قوله تعالى : { تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ
عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا } . .

ذكر أنباءهم مفصلة في مواضع كثيرة . كالأيات التي ذكر فيها خبر نوح وهود ، وصالح ولوط
، وشعيب وغيرهم ، مع أممهم صلوات ﷻ وسلامه عليهم . .

قوله تعالى : { فَمَا كَانَ زُوقُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ } . في هذه
الآية الكريمة للعلماء أوجه من التفسير : بعضها يشهد له القرآن . .

منها : أن المعنى فما كانوا ليؤمنوا بما سبق في علم ﷻ يوم أخذ الميثاق أنهم يكذبون
به ، ولم يؤمنوا به ، لاستحالة التغير فيما سبق به العلم الأزلي ، ويروى هذا عن أبي بن
كعب وأنس ، واختاره ابن جرير ، ويدل لهذا الوجه لآيات كثيرة كقوله : { إِنَّ السَّادِّينَ
حَقَّاتٌ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ } ، وقوله : { وَمَا تُغْنِي
الْآيَاتُ وَالذُّرُّ عَنْ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ } ونحو ذلك من الآيات . .

ومنها : أن المعنى الآية أنهم أخذ عليهم الميثاق ، فأمنوا كرهاً ، فما كانوا ليؤمنوا
بعد ذلك طوعاً . ويروى هذا عن السدي وهو راجع في المعنى إلى الأول . .

ومنها : أن معنى الآية أنهم لو ردوا إلى الدنيا مرة لكفروا أيضاً ، فما كان ليؤمنوا في
الرد إلى الدنيا بما كذبوا به من قبل أي في المرة الأولى . .

ويروى هذا عن مجاهد . ويدل لمعنى هذا القول قوله تعالى : { وَلَوْ رُدُّوا

لَعَادُوا لِمَا زُهِواً عَنْهُ { . لكنه بعيد من ظاهر الآية .